فريق تفريغ المهندس
علاء حامد

تلخيص تدبر سورة مريم (7)

م.علاء حامد

ALAA HAMED

تلخيص المحاضرة السابعة
تدبر الآيات من (73-84)

◆ الحكمة من وجود أعداء للأنبياء

- **يجب العلم بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أذن بوجود هؤلاء الأعداء، ولو شاء سبحانه وتعالى ما بقي كافر على ظهر الأرض، فهم لا يعجزونه سبحانه وتعالى، وإنما أبقاهم لحكم منها:**

1. بيان أن عداوة الأنبياء سنة ماضية في جميع الرسالات قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)

2. تمييز المؤمنين الصادقين من غيرهم، قال تعالى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٦)

3. كشف المنافقين وفضح أحوالهم، قال تعالى :

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٧)

4. اتخاذ الشهداء من المؤمنين، وقد ظهر ذلك جليًّا في غزوة أُحد، قال تعالى:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آلِ عمران: ١٤٠)

5. ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم وتربيتهم على الصبر والثبات، قال تعالى:

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **(آل عمران: ١٤١)**

6. تمييز أهل الحق من أهل الباطل قال تعالى:

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: ١١٣)

◆ أصناف المكذبين بالأنبياء:

أولًا : المكذبون بالآخرة

- وهم المنكرون للبعث بعد الموت، وقد ذكر الله قولهم ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾

- فكيف يستبعد الإنسان البعث، والله سبحانه وتعالى خلقه أول مرة من العدم؟ فالذي قدر على الخلق الأول قادر على إعادته بعد الموت.

ثانيًا : الماديون

- وهم أصحاب منهج يقوم على تفسير الأمور من خلال المادة والمحسوسات، وتقديم ما يُرى ويُدرك بالحواس على الإيمان بالغيب.

• ولا يختلف الماديون عن المكذبين بالآخرة؛ لأن صفات أعداء الأنبياء ترجع في النهاية إلى أصلين:

١. التعلق بالمادة.

٢. الكفر بالغيب.

- والكفر بالغيب يشمل إنكار ما أخبر الله به من أمور الغيب؛ كالإيمان بالآخرة والبعث والحساب.

◆ **محور السورة :** الإيمان بالغيب أو الكفر به وأثره في الفكر والسلوك والتوجهات

- محور السورة هو معركة بين نظرتين؛ من ينظر للمادة فيرى الدنيا دار متاع، ومن ينظر للغيب فيرى الدنيا دار اختبار. والفارق أن المؤمن يرى النعمة فيزداد قرباً، والمادي يراها فيزداد كبراً.

◆ **معيار التفاضل عند الماديين :**

كلما زادت المادة عند الإنسان، أصبح في نظرهم أحقَّ بالاتباع.

فبمقدار ما يملكه من مالٍ كثير، ومكانةٍ اجتماعية، وأتباعٍ، وأسبابٍ من القوة الدنيوية يكون عندهم أفضل وأنجح؛ ويجب أن يُقتدى به.

- وأهل الإيمان يدعون إلى الصلاح والعبادة والطاعة، ويقولون: هذا هو الطريق الحق، وهو الطريق الذي يوصل إلى الجنة.

◆ **الخلاف بين المنهج الإيماني والمنهج المادي:**

قد تمر الآية على الإنسان مرورًا سريعًا، لكن المتأمل بها يجد أنها تتحدث عن قضية عظيمة اختصرها الله سبحانه وتعالى في كلمات قليلة.

- منهج أهل الإيمان: الذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى والغيب، والرسل والبعث والدار الآخرة.
- المنهج المادي: الذي لا يؤمن إلا بالماديات والمحسوسات، ويكفر بالغيب.

◆ الخلاصة:

المنهج الإيماني يقوم على الوحي والغيب، والمنهج المادي يقوم على المحسوس والمادة.

◆ مثال قرآني يوضح المنهجين: قصة صاحب الجنتين:

قال تعالى في سورة الكهف:

﴿۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا (٣٢) كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا (٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤)﴾

- فالله سبحانه وتعالى أعطى أحد الرجلين المادة: المال، والزروع، والجنتين، وأسباب القوة الدنيوية.

فقال:

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤)﴾

- أنا أكثر منك مالًا، وأقوى منك مكانة، وأكثر منك أتباعًا وأنصارًا.

- فيظن أن القوة الدنيوية دليل على صحة الطريق، فلا ينظر إلى علاقة الإنسان بربه، وهو المعيار الحقيقي للتفاضل

- أما الرجل الآخر فلم يُعطَ هذه المادة، وإنما أُعطي الإيمان، فالميزان الحقيقي ليس مقدار ما يملكه الإنسان، وإنما: إيمانه بالله سبحانه وتعالى وعمله الصالح وقربه من الله، وثباته على الحق.

◆ فكر صاحب المنهج المادي:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥)﴾

- فهذا المادي لم يكتفِ بالإعجاب بما عنده من مال، بل وصل به الأمر إلى الغرور والاستبعاد؛ لأنه جعل ما يراه بعينه هو الحقيقة الوحيدة،

ثم انتقل من إنكار زوال الدنيا إلى إنكار الآخرة.

- العلاقة بين التعلق بالدنيا والكفر بالغيب؛ فكلما تعلق الإنسان بالمادة وانشغل بها، ضعُف عنده الإيمان بالآخرة.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)﴾

- فيقول حتى لو افترضنا وجود الآخرة، فسيكون لي هناك خير مما عندي هنا؛ لأنه ظن أن ما حصل عليه في الدنيا دليل على رضا الله عنه، وأن من أُعطي في الدنيا سيُعطى في الآخرة.

- ومن أخطر أخطاء التفكير المادي جعل المال والجاه دليلًا على رضا الله، مع أن الدنيا قد تكون ابتلاءً؛ فليس الغنى دليل فضل، ولا الفقر دليل نقص.

◆ فكر صاحب المنهج الإيماني:

فقال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧)﴾

- فذكره بأصل الخلق؛ لأن أعظم دليل على قدرة الله هو أن الإنسان نفسه لم يكن شيئًا ثم أوجده الله.

ثم قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨)﴾

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)﴾

- المؤمن لا يغتر بالنعم بل يرى النعمة دليلًا على فضل الله فيزداد شكرًا وعبودية، ويعلم أن كل ما عنده من خير هو من فضل الله سبحانه وتعالى.

- الإيمان بالغيب يصنع شخصية ثابتة على الحق، فتَبذل وتصبر وتضحي؛ لأنه يعلم أن الله يرى عمله وأن ما عند الله خير وأبقى.

• أما صاحب المنهج المادي فإنه ينسب الفضل إلى نفسه، كما قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص: ٧٨)

- فيظن أن المال بسبب ذكائه، وأنه دليلٌ على تفوقه. فيزداد كبرًا وغرورًا.

- صاحب الجنتين رأى النعمة فنسي المنعم.

أما المؤمن فرأى النعمة فعرف المنعم سبحانه وتعالى، فهو ينظر إلى من خلق الأسباب وأعطى النعم.

💎 قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

- **من آثار الإيمان بالغيب:**

1. البذل والتضحية:

لأن المؤمن يعلم أن ما يقدمه لله محفوظ عنده سبحانه.

2. الصبر على الطاعة:

لأنه يعلم أن وراء التعب أجرًا عظيمًا.

3. الثبات وقت الفتن:

لأنه لا ينظر فقط إلى الواقع المحسوس، بل ينظر إلى وعد الله.

4. حسن التوكل على الله:

لأنه يعلم أن الأسباب بيد الله، وأن النتائج بيده سبحانه.

5. الرجاء والخوف:

فيرجو رحمة الله ويخاف عقابه.

6. الخشوع والخضوع:

لأنه يستشعر عظمة الله ولقاءه سبحانه.

- **الفرق بين نظرة المؤمن ونظرة المادي:**

- **المؤمن يرى الدنيا وسيلة للآخرة، ويعلم أن النعيم الحقيقي عند الله، لذلك يبذل ويصبر اعتمادًا على إيمانه بالغيب.**
- **والمادي فيجعل الدنيا غايته، ويقيس النجاح بالمال والمكانة والمظاهر، لأنه لا ينظر إلا إلى ما هو محسوس.**

- كلما قوي إيمان الإنسان بالغيب، ترتب على ذلك الخير الكثير في فكره وسلوكه وأعماله؛ وذلك ميزان التفاضل عند الله، فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)

- **حقيقة الحياة وغاية الإنسان:**

- المنهج الإيماني: يرى أن الإنسان خُلق لعبادة الله، وأن الدنيا دار ابتلاء، والآخرة دار الجزاء.
- المنهج المادي: يحصر اهتمامه في الدنيا وما فيها من متاع وقوة ومظاهر.

◆ أهمية الإيمان بالغيب في سورة مريم:

- تركّز سورة مريم على الإيمان بالغيب؛ لأنه هو الذي يحدد طريق الإنسان ويصنع ثباته أمام الفتن، ويجعله يقدّم رضا الله على رغبات النفس ومتاع الدنيا.

- فالأنبياء والصالحون لم يكونوا عظماء بما يملكون من قوة مادية، وإنما بإيمانهم بالله وثقتهم بوعده.

- فزكريا عليه السلام دعا ربَّه رغم كبر سنه؛ لأنه أيقن بقدرة الله، ومريم عليها السلام تحملت الابتلاء؛ لأنها وثقت بوعد الله، وكذلك إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام ثبتوا على الحق؛ لنظرهم إلى ما عند الله لا إلى ما في أيدي الناس.

◆ أثر الإيمان بالغيب في صناعة شخصية المسلم:

- الإيمان بالغيب يوجّه حياة المسلم واختياراته وعباداته؛ لأنه يجعله يعمل ابتغاء ما عند الله. فإذا أيقن بالجنة والنار والحساب والجزاء، صبر على الطاعة، وجاهد نفسه، وابتعد عن المعصية؛ لأنه يعلم أن الدنيا زائلة وأن وراءها لقاءً مع الله.

فلولا الإيمان بالغيب لما وُجد:

1. البذل في سبيل الله.
2. التضحية من أجل الحق.
3. الصبر على الابتلاء.
4. الثبات أمام الفتن.
5. التوكل والرجاء والخشوع لله.

◆ الفرق بين المنهج الإيماني والمنهج المادي:

أولا: المؤمن بالغيب:

1. يرى الدنيا طريقًا إلى الآخرة.
2. يقدّم رضا الله على هواه.

3. يصبر على الطاعة ويترك المعصية.

4. يثق بوعد الله وإن لم يرَ النتيجة مباشرة.

5. يقيس النجاح بالقرب من الله.

ثانيًا: المادي:

1. يحصر نظره في الدنيا.

2. يجعل المال والقوة معيار التفاضل.

3. لا يهتم بما وراء الحياة الدنيا.

4. يقيس النجاح بما يملك الإنسان لا بما يكون عليه.

5. يقدم متاع الدنيا على رضا الله.

- الآية: ٧٣ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

- أن أهل الكفر كانوا يقولون لأهل الإيمان: نحن أفضل منكم؛ لأن عندنا الأموال، وعندنا الناس، وعندنا أصحاب الجاه والمكانة.

﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

أي: أي الفريقين أفضل من حيث المكانة والمنزلة؟

﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾

أي : أفضل في الدور والقصور والمنازل والمساكن وما يتعلق بأسباب الرفاهية في الدنيا.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

- **النادي :** هو المجلس الذي يجتمع فيه الناس، ويُقصد به أصحاب المكانة والوجاهة والأغنياء وأهل النفوذ.

- **تكرار المنهج المادي مع الأنبياء:**

- في بداية الدعوة بمكة كان أكثر المؤمنين من المستضعفين، ولم تكن عندهم أموال أو مكانة دنيوية كبيرة، فكان المشركون يحتقرونهم ويقولون: نحن أفضل منكم؛ لأننا نملك المال والجاه والقوة.

- وهذا يكشف خطأ التفكير المادي؛ إذ يجعلون كثرة الدنيا معيارًا للحق والفضل.

• قوم نوح عليه السلام رفضوا الإيمان لأن أتباعه كانوا من المستضعفين، فقالوا:

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]

- وقال الله تعالى عن كفار قريش:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ [الأحقاف: ١١]

- أي : لو كان حقًّا لسبق إليه أصحاب المال والمكانة.

وكذلك قالوا:

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]

- فكان معيارهم المال والجاه.

• وقد نظر سليمان عليه السلام إلى النعمة على أنها اختبار من الله فقال:

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠]

- تُقاس قيمة الدنيا عند أهل الإيمان بقدر ما تعين الإنسان على طاعة الله؛ فالمال لا يُقاس بكثرته، وإنما بأثره على ولهذا قال الله تعالى:

﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]

- وتقاس قيمة الدنيا عند أهل المادة بقدر ما يملكه الإنسان من أرقام وممتلكات.

فكلما زاد المال الذي يملكه الإنسان، رأوه أكثر قيمة وأهمية، دون النظر إلى مصدر هذا المال أو كيفية استخدامه.

ولهذا لما رأوا ما عند قارون قالوا:

﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص: ٧٩]

فجعلوا كثرة ما عنده دليلًا على فضله.

- **معيار النجاح عند أهل الإيمان وأهل المادة**

معيار النجاح عند أهل الإيمان: هو مقدار ما حققه الإنسان من العبودية لله سبحانه وتعالى، مهما كان حاله من غنى أو فقر، أو مرض أو صحة، أو ضعف أو قوة، أو استضعاف أو تمكين، قال تعالى:

﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

فالدنيا دار اختبار، والعبرة بالنتيجة.

معيار النجاح عند أهل المادة: بقدر ما يحصل الإنسان عليه من الدنيا، من المال والقوة والمكانة، بغض النظر عن الطريق الذي وصل به إلى ذلك.

- **ثمرات فهم الفرق بين المنهج الإيماني والمنهج المادي:**

1. **عدم الاغترار بالمظاهر الدنيوية والنجاحات المادية.**
2. **عدم ربط كثرة المال والقوة برضا الله أو صحة المنهج.**
3. **فهم سبب اعتراض أهل الكفر على الأنبياء واتباعهم معايير مادية في الحكم على الناس.**
4. **إدراك أن التفاضل الحقيقي يكون بالإيمان والتقوى، لا بالمال والجاه.**
5. **الثبات على الحق وعدم الشعور بالهزيمة عند قلة الإمكانات المادية.**
6. **الاعتزاز بالمنهج الإيماني واليقين بأن العزة الحقيقية في طاعة الله والاستقامة على دينه.**

- الآية: ٧٤ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾

﴿أَثَٰثٗا﴾

- متاع وأموال ونحوها.

﴿وَرِءۡيٗا﴾

- الشكل والمظهر وما يُرى من الزينة والبهاء.

- **تذكير الكفار بمصائر الأمم السابقة**

- ذكّر الله الكفار بمصائر الأمم السابقة التي امتلكت حضارات وقوة مادية عظيمة، ليبين أن المادة وحدها لا تضمن النجاة، ولا تدل على المكانة عند الله؛ فقد أهلكهم الله بسبب فساد منهجهم وكفرهم وتكذيبهم للرسل.

- فالله سبحانه وتعالى يُمهل الظالمين، ثم يأخذهم بسبب أعمالهم، وهذا يرد على الاعتقاد الخاطئ بأن كثرة المال أو القوة في الدنيا دليل على محبة الله للعبد أو صحة طريقه.

- المظاهر الدنيوية ليست مقياساً للحق أو الرضا الإلهي.

◆ عدم ارتباط المادة بصحة المنهج

- التقدم المادي قد يكون نتيجة العمل والتنظيم والأخذ بالأسباب، وليس دليلًا على صحة المعتقد أو المنهج.

• ففي بداية الدعوة كان المؤمنون مستضعفين لا يملكون مالًا ولا قوة، ولم يكن ذلك دليلًا على بطلان طريقهم، ثم فتح الله عليهم ومكّن لهم في الأرض، ولم يكن التمكين دليلًا مستقلًا على صحة المنهج، بل انتقالًا إلى نوع آخر من الابتلاء.

- الفقر والغنى، والضعف والقوة، كلها صور من صور الاختبار الإلهي، لذلك لا تُقاس صحة الحق والباطل بما يملكه الناس من قوة أو مال، وإنما بما يقومون عليه من إيمان وهدى.

الفكر المادي سبب الكفر والعناد

- الآية: ٧٥ ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾

﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾

- بقاء الضالين في الدنيا وتمتعهم فيها ليس دليلاً على الرضا، بل هو إمهال ومد من الله لهم بل هو استدراج ليزدادوا إثماً وطغياناً، وأذى المؤمنين، وكل ذلك يجري بحكمة الله وإذنه.

قال تعالى:

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران: ١٧٨]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾

- سيعرفون حقيقتهم عندما يحين موعد لقاء الله، سواء كان ذلك في الدنيا عند رؤية العذاب، أو يوم القيامة عند قيام الساعة، حينها فقط سيتجلى لهم من هو

﴿شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ أي : أسوأ حالًا

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أي : أضعف قوة، على عكس ما كانوا يظنون ويقولون.

- تصحيح الموازين: الآية ترد على شبهة قد تدور في أذهان البعض: "لماذا لا يهلك الله الكافرين فورًا؟" الجواب هو أن الأمر لله، وهو يمهلهم لحكمة وابتلاء للمؤمنين، وعذاب الآخرة أكبر وأشد.

- الآية: ٧٦ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾

- وهم من فازوا بالهداية ورضي الله عنهم يزيدهم هدى وتوفيقاً وثباتاً على الحق.

- الهداية ليست محطة يتوقف عندها الإنسان، بل هي رحلة مستمرة يفتح الله فيها أبواب الخير والرزق لمن استقام عليها.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾

- هي هي الزاد الحقيقي الذي يبقى للعبد، ينبغي أن يتنافس فيه المؤمن، وهي كل الأعمال الصالحة التي تبقى ثوابها للعبد عند الله، كالصلاة والذكر والصدقة وسائر أعمال البر التي تظل مع العبد عندما يرحل عن الدنيا وتكون له.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾

- الاستكثار من الباقيات الصالحات التي ستكون شاهدة لهم يوم الحساب.

- يرى أهل الإيمان أن النجاح هو استثمار الدنيا في تحويل كل شيء إلى "باقيات صالحات"، لأنها هي الوحيدة التي ستكون شاهدة لهم يوم الحساب.

- الآية: ٧٧ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾

• ضرب الله سبحانه وتعالى مثالًا لشخصية مادية مغترة والتي تجسد قمة الغفلة والاغترار بالدنيا، وكان مثالًا لمن اغتر بالدنيا وكفر بالبعث.

- سبب نزول الآية:

- قيل إن الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه كان يعمل عند العاص بن وائل، فصنع له شيئًا وطلب منه أجرته،

فقال له العاص: " والله لا أعطيك أجرتك حتى تكفر بمحمد ﷺ. فقال خباب رضي الله عنه: والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تُبعث. فقال العاص: أوَإني لمبعوث بعد الموت؟ قال خباب: نعم. فقال العاص مستهزئًا: إذن سيكون لي حينها مال وولد، وسأعطيك حقك."

- فقد كذب بالبعث والآخرة، بل وصل به الفجر إلى حد الادعاء بأنه سيُعطى مالاً وولداً في الآخرة كما أُعطي في الدنيا. هذا يعكس منهج أصحاب المادة الذين يقيسون الكرامة والنجاح بمقدار ما يملكون من متاع دنيوي، ونفس عقلية صاحب الجنتين.

- وكأن امتلاك المال دليل على رضا الله ومحبة الله، حتى لو كان صاحبه كافرًا أو عاصيًا.

وهذا من شدة تعلقهم بالدنيا.

- الآية: ٧٨ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾

أي : هل اطلع هذا الشخص على الغيب وعرف ما سيحدث له

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾

أم اتخذ عند الله عهدًا يضمن له ما يدّعيه؟

- وكلا الأمرين لم يحصل له؛ فلا هو اطلع على الغيب، ولا كان له عهد من الله.

- هذا الكافر لا يملك اطلاعاً على الغيب ولا عهداً من الله، فإن قوله باطل مجرد ادعاءات باطلة لا تقوم على دليل.

- وقد رد الله عليه بكلمة حاسمة في الآية التي تليها: ﴿كَلَّآ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾

منهج القرآن في تعليم الإنسان أن كل دعوى لا بد لها من برهان وحجة.

- الآية: ٧٩ ﴿كَلَّآ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾

﴿كَلَّآ﴾

- كلمة زجر وردع وإبطال لما قاله ذلك الكافر وأمثاله.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾

- التأكيد أن كل كلمة يتفوه بها الإنسان مسجلة ومكتوبة عليه، وهي رسالة لكل مؤمن بأن يحذر مما يقول، فكل شيء محصى ومسجل.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدًّا﴾

- أي نزيده ونمد له في عذابه.

- الآية: ٨٠ ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدًا﴾

أي: سنرث ما عنده من مال وولد في الدنيا، ويأتي يوم القيامة وحيدًا بلا مال ولا ولد ولا ناصر.

◆ الدنيا وسيلة وليست غاية:

فأهل الإيمان يجعلون المال ومتاع الدنيا وسائل للطاعة وابتغاء مرضاة الله، لا غايات يتفاخرون بها.

- الآية: ٨١ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا﴾

• كان المشركون يتخذون أصناماً وآلهة من دون الله، ظناً منهم أن هذه الآلهة ستكون لهم مصدراً للقوة والعزة والمنعة، تنصرهم وتؤيدهم.

- الآية: ٨٢ ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾

وفيها قولان:

- الأول: تبرؤ الأتباع من المتبوعين.

- الثاني: تبرؤ المتبوعين من الأتباع.

فتتحول علاقتهم يوم القيامة إلى عداء وخصومة، يكذب كل فريق الآخر.

- الآية : ٨٣ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا﴾

﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا﴾ أي أن الشياطين تحرض الكافرين وتدفعهم وتشجعهم وتحركهم بقوة نحو المعاصي والكفر والصد عن سبيل الله.

◆ التسلط بسبب الاختيار: أن هذا التسلط ليس ظلماً، بل هو نتيجة لاختيار الكافر نفسه؛ فالإنسان حين يعرض عن ذكر الرحمن ويتبع الشيطان ويفتح له الباب، يسلطه الله عليه جزاءً لسعيه وإعراضه.

- **قال تعالى:** ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)﴾ [الزخرف]

- **أي أن الله يجعل له شيطاناً ملازماً له يُزين له الباطل ويحرضه على الكفر والمعصية.**

- **الله لا يظلم العباد، بل إن هذا الشيطان يُسلط على الإنسان جزاءً لسعيه وإعراضه عن الحق.**

- **الآية: ٨٤** ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾

- **من سنن الله إمهال الكافرين وعدم تعجيل العقوبة عليهم لحكمة يعلمها سبحانه.**

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾

- **وفيها قولان:**

الأول: عدُّ السنين والأيام: عدُّ آجالهم وأيام بقائهم حتى يأتي أجلهم..

الثاني: عدُّ الأعمال وإحصاؤها.

ولا تعارض بين القولين؛ فالله يحصي آجالهم وأعمالهم جميعًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.